

دراسات محكمة

ثقافة الإبداع ودينامية السياق الاجتماعي
وأشكال التواصل:
قراءة في الإبداع في زمن الوباء

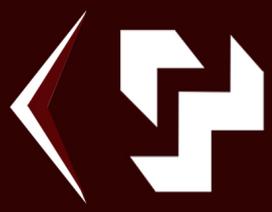
إبراهيم حسناوي

أستاذ باحث بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

All rights
reserved



جميع الحقوق
محفوظة



قراءة في الإبداع في زمن الوباء

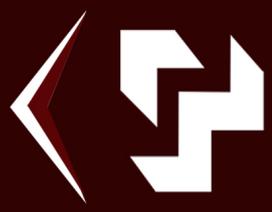
مقدمة:

إن فهم مسارات الإبداع ودورها في بروز ثقافة أو ثقافات بديلة أو انتقادية أو معارضة أو احتجاجية أو موسمية، لا ينفصل عن هذه العلاقة التفاعلية المجتمعية. وبناء على هذه المقاربة، فإن ما يعرف بـ"الثقافة الحضرية" أو الشعبية الملازمة لحدث ما، مهما كان نظامه وعوامل وجوده تتأسس وتتشكل بناء على المشاركة التفاعلية الفردية والجماعية ونشاطها. إن هذه الثقافة الإبداعية المستجدة تعتبر بدورها فضاء مجتمعيًا حركيًا تنتشر فيه إبداعات ثقافية تأخذ من موضوع الوباء أو الجائحة على سبيل المثال، سندا وامتنا أساسيا لها، ساهم فيها المتخيل الشعبي الجمعي والفردى بقسط وافر، وزاد من انتشارها وسرعة تداولها بالإضافة إلى حجم الكارثة وتأثيرها في النفوس، وسائط التواصل التكنولوجي والإعلام الرقمي الذي جعل هذا الإبداع المستمد من "الفيروس" يتناسل ويتداول بسرعة.

إن تحليل خطابات ثقافية وفنية مثل تلك المتعلقة بوباء كورونا، تجعل من القراءة اللسانية الوصفية *métalinguistique* آليةً للتحليل التي تساعد الإرسالية *message* على التجلي والظهور. كما يمكن أن نستدل كذلك بالقراءة السيميولوجية لرولان بارت في كتابه: أساطير *Mythologies*¹، يتعلق الأمر من زاوية أخرى بتحليل هذا الإبداع ليس باعتباره تأويلا اجتماعيا أو شعبيا للأزمة الصحية فقط، وإنما باعتباره عملا للمتخيل الذي يساهم في إبراز دوره في حقل الإبداع الثقافي العام ويجعل منه موضوعا للبحث والتحليل.

إن هذه الإبداعات الخاصة بالوباء التي يتداولها رواد الأنترنت تعتمد كذلك تقنيات في الأسلوب والشكل مرنة وبسيطة مغايرة لقواعد الفن المهني أو المحترف إن صح التعبير، وكأن مبدعوها يضحون بالتقنية والبعد الجمالي لفائدة توثيق اللحظة التاريخية.

¹ - Roland Barthes, *Mythologies*, Paris, Seuil, 1957.



قراءة في الإبداع في زمن الوباء

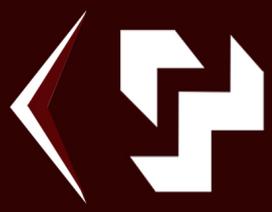
آليات التواصل الرقمي والسندات الإعلامية ودورها في تداول الإبداع الثقافي للأزمة الصحية.

لقد ساهمت هذه السندات الرقمية في سرعة الإبداع الخاص بالوباء وسهولة انتشاره وتعدد أشكاله، التي تتباين وتختلف بين الصورة الثابتة والمتحركة والرسم الكاريكاتوري والرسوم المتحركة والملصقات والأغنية والنكتة وأدب السخرية والوصف والهجاء والتمثيل والشعر والأمثال والحكم، وغيرها من الأشكال التعبيرية التي عرفت حضورا لافتا في التواصل الإعلامي وفي الفضاء العمومي بالمغرب، حضورا يوازي حضور الجائحة نفسها.

وتسعى هذه الإبداعات إلى مقارنة الوباء من زوايا متعددة، تتأرجح بين التحسيس بمخاطر الوباء وأخذ الحيطة والحذر، والتقليل من مخاطره وآثاره وتأثيره في السلوك الفردي والأسري والحياة الجماعية والعيش المشترك، وتغيير مجريات الحياة العامة واقتراح الصفات العلاجية البديلة، وبروز قيم الأناية والتضامن، وقيم التدين والأخلاق، وعجز الإنسان واستسلامه والخوف من المستقبل والشعور بالحنين إلى الماضي وأخذ العبارة مما يحدث الآن، ثم مبدأ القناعة والرضا بنوع المعيشة مهما كان متدنيا، ورد الاعتبار للطبيب\الحكيم أو الطبيب المثقف أو المفكر، مثلما هو أبقراط والكندي والرازي والفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم. لقد أظهرت مجمل هذه الإبداعات أن "الجمال كله" يكمن في الحياة السابقة عن زمان الأزمة مهما كانت مشاكلها، لأنها لا تهدد حياة الإنسان بالشكل الذي هي عليه الآن. إن هذه التعبيرات وإن بدت واقعية ومباشرة في صيغتها وصياغتها، فإنها كذلك إبداع خاص بالمتخيل الفردي والجمعي للمجتمع برمته.

لقد تنبه بيير بورديو P. Bourdieu منذ مدة إلى أن تطور الصحافة يعتبر مؤشرا من مؤشرات الامتداد والانتشار غير المسبوق لسوق الملكيات الثقافية الذي يرتبط في إطار علاقة سببية دائرية بظهور وتدفق مجموعة مهمة من الشباب من غير الميسورين الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة والشعبية من سكان العاصمة باريس والضواحي الذين جاؤوا يبحثون عن مسار مهني ليكونوا كتابا وفنانين². وبغض النظر عن تباين السياق التاريخي والثقافي والمجتمعي الذي يتحدث عنه بورديو عن السياق\المتن الذي نحن بصدد مقارنته، فإنه يؤشر مع ذلك على

²- Pierre Bourdieu, Les règles de l'art, Paris, Editions de Seuil, 1992, 1998, p : 95.



قراءة في الإبداع في زمن الوباء

عنصرين أساسيين مؤثرين في عملية الإبداع، وانتقالها من محيط النخبة إلى محيط الطبقات الشعبية والمتوسطة، ويتعلق الأمر بالصحافة والشباب اللذين يعتبران عنصريين فعالين في سوق التداول الفني، وتبادل المنتج الإبداعي "الجديد" الخاص بالأزمة الذي ساهم في تطوره بشكل كبير الشباب وإبداعاتهم مثل: الموسيقى، الغناء، الرسم، الجداريات، الخرباشات Graffiti وغيرها.

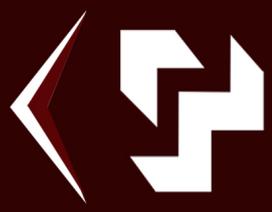
الإبداع الثقافي للأزمة الصحية بين الإبداع والتلقي.

لقد اختلفت كذلك مواقف وآراء الجمهور والمتلقين لهذه الإبداعات الخاصة بالأزمة وتقييمهم لها. فالمبدع والمتلقي يوجدان في وضع مزدوج يتميز بتبادل الأدوار، إذ يصير المبدع متلقيا والعكس صحيح، وعليه فإن هذا الإبداع ينبي وفق "علاقة تواصلية تعارضية وتناقضية تدور بدورها حول قطبين اثنين: قطب الجذب وقطب الرفض والازدراء القائم بين الفاعلين في المحيط الاجتماعي"³. إن هذا التواصل الإبداعي يجد مكانه إذن في الفضاء العمومي، ويولد مسارا من الفعل ورد الفعل التواصلية بين مختلف الفئات من الجمهور، وهذا ما لاحظناه في وسائط التواصل الاجتماعي والإعلام التلفزيوني أيضا، حيث تحول الصحفي والمنشط إلى دور رجل السلطة والواعظ والمرشد والمربي ورب الأسرة والفاعل الجمعي والمدني، واستعمل خطاب اللغة المتوسطة والتعبير "الدارج" والتواصل اليومي لاستهداف مختلف الفئات الاجتماعية. فهل كان هذا الوضع الصحي الاستثنائي يستوجب وضع عملية تواصلية بعيدا عن مبدأ التعدد اللغوي، والحق في الوصول إلى الخبر والمعلومة باللغة التي يفهمها كل فرد متفرج؟ وهل حقق هذا التواصل هذه المناقشة الاجتماعية والتفاعلية التي يتحدث عنها يورغن هابرماس Y. Habermas في وصفه للفضاء العمومي⁴؟

لقد قادت هذه الدينامية الاجتماعية التي ولدها الوباء والحجر الصحي إلى ميلاد سياق من الإبداع الفردي والجماعي المتميز بالمشاركة والانخراط في سيرورة الخلق بغض النظر عن صفة المبدع وموقعه الاجتماعي والمعرفي

³- Antigone Mouchtouris,(2008), « Graffiti Esthétisme Populaire », in. Actualité Graffiti, S/ D de Antigone Mouchtouris&Kheira Belhadj – Ziane, PUP, p : 81.

⁴- Cité par.Thierry Paquot, 2009, Espace public, La Découverte, Paris, p : 29.

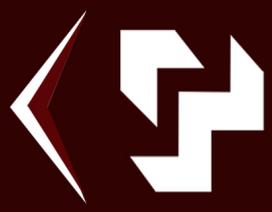


قراءة في الإبداع في زمن الوباء

وتوجهه الفني والجمالي. إنها كذلك إبداعات "اللامبدع" والهاوي والمبتدئ الذي لا تهمة قواعد الفن، بقدر ما يستهويه توثيق اللحظة و"الذكرى" الخاصة بالوباء وتقديم شهادة عنها سواء بوعي أو بغير وعي. إنه يقدم كذلك شهادة عن محيطه الاجتماعي والأسري خلال مرحلة يوجد فيها مصير الناس بين مخالِب الفيروس، واجتياحه للزمان والمكان الاجتماعيين بقوة. ويمكن القول إن هذه الثقافة الإبداعية الإعلامية والرقمية والحضرية والقروية تندرج في "أفق سياسي تتولى تنظيمه وضبطه حركة الثقافة المضادة"⁵ التي ولدت كذلك بمحض الصدفة وخارج دوائر الثقافة الرسمية.

وبالنظر إلى هذه الشروط الصحية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والنفسية المستحدثة التي ولدها وباء كورونا، يمكن القول إن هذه الثقافة الإبداعية تندرج في إطار دينامية ثقافية تنفلت من مفهوم الهيمنة الاجتماعية والإبداع النخبوي أو العالم. فالتعبير عن التظاهرات المختلفة للوباء والأزمة الصحية، يأخذ أحيانا طابع النقد الاجتماعي والسخرية الواقعية، وأحيانا أخرى طابع الاحتجاج السياسي ونقد السياسات العمومية، وتكريس قيم التضامن والمواطنة والمبادرة الجماعية أحيانا تالية. أما وسيلة التعبير عن ذلك، فهي التعبير الفني الذي مكن مختلف الفاعلين من الكشف عن مواقفهم وعواطفهم واستهوماتهم وآرائهم إزاء ما يحدث حولهم الآن وفي المستقبل. وحوّلوا الإبداعات وأشكال التعبير المتعددة الجنسيات إلى أشكال محلية، وأضافوا عليها مسحة اجتماعية محلية عن طريق الترجمة والعنونة واستبدال لغة الحوار والكلام وخلق الانسجام بين الصورة "الأجنبية" واللسان المحلي بطريقة تخلق مضمونا محليا أساسه وباء كورونا. إن التعبير أصبح كونيا وإن تعددت اللغات وأشكال الفن والسندات والحوامل، فالفيروس هو من خلق هذه العملية الفنية التي تتخطى كل الحدود.

⁵- Kheira Belhadj – Ziane, (2009), « Le rap: parole mythique et culture urbaine », in. Culture et pratiques culturelles, S/D de A. Mouchtouris, Presses universitaires de Perpignan, 2009, p : 90.



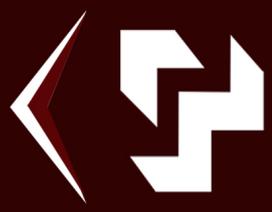
قراءة في الإبداع في زمن الوباء

المنتوج الثقافي والفني للأزمة الصحية بين التأويل الاجتماعي والسياسي والشعبي وعمل التخيل.

لقد تميزت هذه الحركية "الفنية الوبائية"، بهيمنة النص والصورة والخربشة واللافتة والجدارية والملصق والكمامة والفيلم الإشهاري والنكتة... باعتبارها منتوجا منتهيا صالحا للتداول على حساب اسم المبدع وموطن الإبداع. إن الوجود الفعلي في الفضاء العمومي وفي سوق التداول والاستهلاك الثقافي للأزمة الوبائية، هو لفائدة الإبداع بالدرجة الأولى، وليس للمبدع الذي تُجهل هويته أحيانا كثيرة، وقد يكون فردا أو مجموعة من الأفراد.

لقد تحول الفضاء العمومي الذي وحدته الأزمة إلى فضاء رمزي للتعبير عن هذه الرغبة الوجودية في الحياة التي أصبحت مهددة بضراوة الفيروس وسريته المطلقة في انتقال العدوى والانتشار السريع لها. ومع ذلك تمكن الإبداع الثقافي والفني "اللامنظم" من حيث المعرفة الفنية من تحويل عناصر الأزمة والخوف والمرض إلى أداة وصيغ وقوالب للضحك والسخرية، ونقد الفرد والجماعة والسياسة والمسؤولين، ونقد القوى الكبرى في العالم، وتبيان عجزها عن مواجهة فيروس صغير لا يرى بالعين المجردة. فهذا الهزل والضحك وحتى الاشمئزاز الذي تثيره لدينا هذه المنتوجات الفنية يعبر عن معرفة عميقة كما يقول برغسون، "إن الأصالة الهزلية، العاقلة بحسب طبيعتها، حتى في تجاوزاتها العظمى، المنهجية في جنونها، الحاملة، وأنا أصر على ذلك، وإن كانت تثير في الحلم رؤى تُقبل في الحال وتفهم من مجتمع بأكمله - كيف لا توضح لنا وسائل عمل التخيل البشري، وبصورة خاصة التخيل الاجتماعي، الجماعي، الشعبي؟ إن الأصالة الهزلية تنبثق عن الحياة الواقعية، وتقترب من الفن، فكيف لا تقول لنا كلمتها أيضا في الفن وفي الحياة؟"⁶. وهذا ما جعل هذه الثقافة الفنية تندرج في إطار بعد سياسي وإن اختلف مضمونها وشكلها عن مضمون الخطاب السياسي والإعلامي المؤسساتي في المغرب مثلا. لقد تمكنت هذه المواد الإبداعية المختلفة من اختراق الفضاء العمومي المحلي وزمان الأزمة بسرعة فائقة جدا.

⁶ - هنري برغسون، الضحك، ترجمة علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط: 2، بيروت، لبنان، 2007، ص:10.



قراءة في الإبداع في زمن الوباء

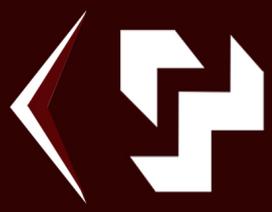
لقد تبادل السكان في المدن والقرى القصية والمداشر أنباء المرض والوباء، وقصائد شعرية عن زمان الرغد والطمأنينة والاستقرار والنفور مما آلت إليها أوضاع البشرية اليوم التي فقدت الإحساس بالآمال والأمان رغم التقدم. وأخرى تنتقد السلوك البشري وتبدل الأحوال المناخية، وتعتبرها السبب في انتشار الأوبئة، كما تنتقد بلاد الصين موطن الوباء وتصفها بالهمجية وأكل لحوم الحيوانات والقوارض، ولذلك فهي تدفع ثمن أفعالها اللاأخلاقية المناقضة لنواميس الكون حسب الشعراء الشعبيين الزجالين الناظمين لهذه الأشعار⁷. وهناك قصائد شعرية أخرى تتحدث عن التعليم عن بعد، وعن الإكراهات وأسباب النزول والمآل، ومبدأ تكافؤ الفرص والعبء الاقتصادي، وقد جاءت إحدى هذه القصائد في شكل محاورة شعرية بين الشاعر والوزير القائم على القطاع⁸.

⁷- قصيدة شعرية زجلية باللغة الأمازيغية، نظمها رجل مسن من ساكنة إغرم التابع لإقليم تارودانت في بداية الحجر الصحي، وقد تم تداولها عبر الواتساب بالصورة والصوت اللذين التقطا بواسطة هاتف خلوي متنقل في الشارع العام. أما مؤدى القصيدة التي ترجمها إلى العربية الداريجة عبد الله الفداح فهي كالتالي:

حاول علينا المرض ودارت بينا الدنيا
غابت الشتا ذاع المرض
كيضارب البحر مع راسو وكهضر مع راسو
قاصد اليابسة ليغا إخرج لها
المواج هايجة والحوت هريان
دا الريح المرض وكي تسارا بيه
عطا لكاع البلدان شونا شونا
ذاع الخوف والناس كلها كتغوت
خايفين إوصلهم مرض الصين
الناس سدوا الجوامع ومبغاوش الخير
حطينا القرآن اللي فيه النور
وهزينا المرايات (الهواتف) اللي فيها الشياطين
غضب الله غادى إضرب كل كافر
أما اللي حنان ما يخافو والو
والصين الله إمسخكم والماكله ديالكم
كلاو الضفادع والكلاب والحلوف
الله إسخط عليكم عابشين غير بالحرام

المصدر، واتساب، تاريخ الاطلاع عليه، 25 مارس 2020.

⁸- تبادل رواد الواتساب كذلك قصيدة شعرية لشاب من إحدى الجبال المغربية في الأطلس المتوسط كما يظهر من لسانه وتعبيره الأمازيغي، وقد استهل النص الشعري الذي يتحدث فيه عن التعليم عن بعد بالتضرع إلى الله لكي يرفع الوباء والبلاء عن البلاد المغربية والشفاء لجميع المرضى، كما أبرز قبل بداية قصيدته أنه إنسان محايد سياسيا ولا ينتمي إلى أي حزب سياسي، كما أنه ليس شاعرا محترفا، وإنما هي موهبته وسليقته التي تذكى فيه الرغبة في النظم. جاءت بداية القصيدة للتعبير عن الإكراهات التي تواجه المتمدرسين بالبوادي والقرى المغربية، كيف لهم أن يحصلوا على الدعامات الرقمية لمتابعة الدروس عن بعد ومسيرة زملائهم الآخرين الذين لهم الإمكانيات الخاصة بذلك لا سيما في المدن الكبرى. واعتبر هذا التحول المدرسي والتربوي عنصرا إضافيا يثقل كاهل الآباء في الجبل إلى جانب العبء الاقتصادي. لقد شعرت بالبكاء (يقول الشاعر) وأنا اسمع لابني وهو يطلب مني توفير الدعامة الإلكترونية ليتابع دروسه؛ قلت له إننا نعاني من نقص في شبكة الاتصال، وهو ما يؤثر سلبا في مبدأ تكافؤ الفرص بين معظم المتمدرسين. تعرفوا معي (يضيف الشاعر) على حجم المشاكل التي نعاني منها يوميا في الجبل. موجها كلامها إلى وزير التربية



قراءة في الإبداع في زمن الوباء

إن هذه الإبداعات تجعلنا نتساءل كذلك عن دور الثقافة اليومية أو الشعبية ووضعها الآني وعلاقتها بالمجتمع. فعلاقة الثقافة بالمجتمع كما يقول ميشيل دوسارنو M. De Certeau قد تغيرت. فالثقافة لم تعد مقتصرة على محيط ما ومرصودة له. إنها لم تعد ملكا خاصا لبعض التخصصات المهنية (جامعيين، مهن حرة)؛ إنها غير مستقرة كذلك وتتحدد وتعرف بواسطة سنن يوجد في متناول الجميع⁹. وإذا أخذنا بفكرة هانهاروند H. Arendt، فإن الفن هو بمثابة النموذج والمثال بالنسبة للفرد داخل العالم¹⁰. ثم إن هذه الإبداعات الخاصة بوباء كورونا تعبر كذلك عن رؤية بلاغية للحياة اليومية خلال الأزمة، فالصور والرسومات والأدب النثري والساحر وغيرها من النصوص تعتبر كذلك استعارة اجتماعية تعبر كذلك عن رؤية أصحابها للأزمة من حولهم.

لقد تبادل رواد الأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي مجموعة من

النصوص النثرية الساخرة في توصيفهم للعلاقة بين الإنسان / الفرد المغربي ووباء كورونا، وتفاعله مع الوضع الصحي المستجد، هذا توصيف وإن جعل هذا الفرد موضع النقد والسخرية، فهو لم يفصله عن سياقه السياسي والاجتماعي والاقتصادي والأحداث المؤثرة في فضائه العمومي وانتمائه الوطني، مثل، الأحداث الرياضية. إن هذا التوصيف الرمزي للفرد والجماعة ولواقعهما في زمان الأزمة يعبر في الآن ذاته عن "نظام خفي خاص باشتغال الخطاب"¹¹. فثمة في هذه الأقوال المشار إليها في هامش هذه الصفحة¹² خطابا مستترا ومتواريا وراء خطاب عفوي

الوطنية مذكرا إياه بالاسم قائلا بلسانه الأمازيغي: "أيا مزاوي أواصغ أداك ساعفغ أوال أراون جبل أوا ماغ إد أم وين كازا أولا رياض أولا فاس أولا ديغ كل الشمال، إلا لفرقا كوديا ومايكار تفرغ تاكوات أ كاتششا قبل أد إزدغ أد إتوتشا كل". لنقرأ النص مترجما إلى العربية: (استمع إلى كلامي يا أمزاوي، هل هناك مساواة بين تلاميذ أطفال الجبل وتلاميذ الدار البيضاء والرباط وفاس ومدن الشمال، إن ثمة فرقا شاسعا بينهما وخلل كبير، ويتوجب عليكم إيجاد التوازن والتكافؤ المطلوب قبل فوات الأوان). اطلعت على هذا الفيديو عبر تقنية الواتساب بتاريخ 7 أبريل 2020.

⁹ - Michel De Certeau, La culture pluriel, Paris, Editions de Seuil, 1993, p : 87.

¹⁰ - Hannah Arendt, La crise de la culture, Paris, Gallimard, Folio, Essais, 1972.

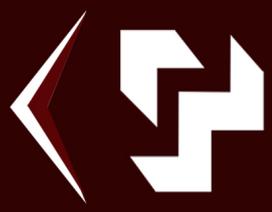
¹¹ - Raymond Quivy, & Van Luc Campenhoudt, Manuel de recherche en sciences sociales, Paris, Dunod, 1995, p : 223.

¹² - من بين هذه النكات والأقوال التي تبادلها رواد الأنترنت وفضاءات التواصل الاجتماعي:

1- "إن شاء الله ما ندوزوش للمرحلة الثانية ديال الوباء أصلا ولفنا ديما نخرجو من الدور الأول للمنافسات الدولية، لهلا يحشمتنا حتى فهادي."

2- "حنما الشعب الذي أبهر العالم حط المواد الغذائية في الحجر الصحي وهو خرج لبرا يدور."

3- "أول مرة نحس بلي الدولة لاعبة دور الأب والأم، والشعب لاعب دور داك البعلوكلي خاصو قتلة د العصا باش يريح الأرض."

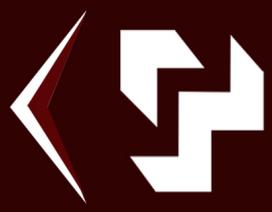


قراءة في الإبداع في زمن الوباء

تلقائي وعرضي وذاتي، هو الخطاب السياسي ونقد السياسات العمومية وتديبر القطاعات الحيوية في البلاد، وعلاقة السلطة بالمواطن، وكذا نقد السلوك الفردي والجماعي في تعاطيه مع الظاهرة الوبائية. ففي الوقت الذي أمّن فيه المواطن جزءاً من مخزونه الغذائي ضرب بعرض الحائط أهم عنصر في الوقاية من الوباء وانتشاره، ألا هو التزام البيوت وتفادي الاختلاط، كما جاء في إحدى هذه النصوص. لقد عكس الشعب المعادلة؛ فعوض أن يظل هو في الحجر جعل القوت اليومي يحل مكانه ويخرج هو للسير والدوران. أما المقولة الأخرى فتحيلنا على رياضة كرة القدم بالمغرب، ونقد مسلسل الإخفاقات في الاستحقاقات الرياضية القارية والعالمية، وهذا ما جعل مبدع هذا النص يقرب زمان انتهاء الوباء في المجتمع بزمان خروج الفرق الرياضية المغربية من المنافسات العالمية التي تغادرها غالباً في الدور الأول، ولهذا فإن التمني هو ألا يشكل وباء كورونا منافسة استثنائية تتجاوز هذا الدور المعتاد بالنسبة للمغاربة.

إن هذه الثقافة الناشئة الدائرة حول الوباء، لا تنفصل إذن عن سياقها التاريخي والاجتماعي والسياسي، كما تبرز هذه النصوص أيضاً، سياق إخفاق المؤسسات وتديبر العلاقة الإدارية بين المواطن والسلطة ووضعية البحث العلمي، وهيمنة المقاربة الإدارية على حساب المقاربة العلمية والمعرفية، الخ. لقد ولدت هذه الثقافة والحالة هذه للتعبير عن هذه الدينامية الاجتماعية التي يعتبر التواصل والتواصل الرقمي ووسائط التكنولوجيا الحديثة أحد أعمدها الأساسية، إذ مكنت الأشخاص، لاسيما الشباب، من خلق فضائهم الثقافية الخاصة والتعبير عن فهمهم واستيعابهم للأزمة الصحية، بعيداً عن ثقافة المؤسسات التي لم تشكل بدورها استثناء عن هذه الدينامية الاجتماعية والثقافية الناشئة حول الوباء، وإنما حاولت الانخراط فيها عبر مجموعة من العمليات التي تستهدف نقل الثقافة والفن إلى الناس في البيوت بطريقة لم تكن متداولة ومتاحة من ذي قبل.

4 - "أمريكا والصين وفرنسا وألمانيا تبحث عن الدواء، المغاربة كيقبلو على المقدم". وغيرها من الأقوال والنصوص "الشعبية" التي تشهد عن هذه اللحظة من زمان الوباء بالمغرب.



قراءة في الإبداع في زمن الوباء

لقد عمدت مؤسسة المركز السينمائي المغربي¹³ مثلا، باعتباره المؤسسة

المشرفة عن قطاع السينما بالمغرب، إلى وضع برنامج تطبيقي منذ بداية الحجر الصحي إلى اليوم، تبث من خلاله مجموعة من الأفلام المغربية الروائية والوثائقية¹⁴ التي لم تكن للمشاهد المغربي فرصة مشاهدتها من قبل، بالنظر إلى محدودية العرض السينمائي في المغرب واقتصاره على المهرجانات السينمائية.

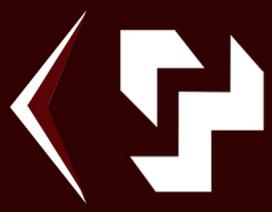
إن هذه البرمجة السينمائية، وإن كانت تنخرط في هذا السياق الاجتماعي والتاريخي الذي فرضه الوباء، فإنها تلفت النظر كذلك إلى أهمية السينما باعتبارها فنا وثقافة وفرجة جماهيرية وعنصرا أساسيا لتشكيل الذوق الفني، ولملحها يمكن المهتمين والجمهور من فهم طرق اشتغال المتخيل السينمائي وطرق إنتاجه للصورة الخاصة بالمغرب مهما كانت شروط بثها. ولهذا يرى بورديو أن "طرح مُنتج جديد أو إنتاج جديد إلى السوق خلال مرحلة زمنية معينة يمثل نموذجا جديدا للذوق"¹⁵. فهذا المنتج السينمائي وإن لم يكن جديدا على مستوى الإنتاج، فهو كذلك على مستوى سوق التداول والفرجة والمعرفة الجمالية ووسائل التعبير السينمائي.

¹³ - أصدر المركز السينمائي المغربي بلاغا رسميا في 30 مارس 2020 يعلن فيه عن برمجة 25 فيلما مغربيا، لإتاحة الفرجة للجمهور عبر الأنترنت وعلى موقعه الرسمي، في هذه الظرفية من زمان الحجر الصحي وإغلاق دور العرض السينمائي وتعليق المهرجانات السينمائية.

يتضمن هذا البرنامج 36 فيلما ويمتد من 31 مارس إلى 10 يونيو 2020، بمعدل فيلم لكل يومين، (انظر الصفحة الرسمية للمركز السينمائي المغربي على الأنترنت)

¹⁴ - <https://www.ccm.ma>

¹⁵ - Pierre Bourdieu, Les règles de l'art, op.cit., p : 265.

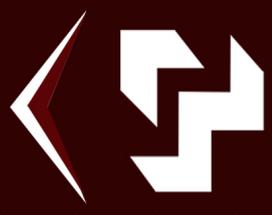


قراءة في الإبداع في زمن الوباء

خاتمة:

إن الإبداع الثقافي والفني الخاص بالأزمة الصحية التي فرضها وباء كورونا، هو تعبير عن الوجدان والأحاسيس والخوف والتوجس؛ إنه كذلك تعبير عن واقع يومي في زمان الأزمة. أما اللغة المستعملة في معظم هذه الخطابات التي ساهمت في انتشارها وسائل الإعلام الرقمي والتكنولوجيا الحديثة، فتمثل نوعا من التصوير الرمزي والاستعاري للنسق الاجتماعي وتفاعله مع الأزمة الصحية غير المسبوقة والمستجدة التي لم تكن في حساب العالم المعاصر. إن هذه الخطابات تمثل أيضا واقعا تواصليا لتبادل الآراء حول المرض؛ آراء وإن كانت تحيل في ظاهرها على الوباء، فهي تؤشر أيضا عن الوضع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي للمغرب. وكذلك تتضمن اللغة المستعملة في هذه "النصوص الإبداعية" ونسقتها التواصلية حمولة رمزية وأفكارا وقيما مختلفة. إنها كذلك إنتاج للمتخيل الفردي والجمعي الذي يجعلنا نتحدث عن "استعارية الواقع" في زمان الوباء.

إن ميسم الزوال والسرعة الذي تتسم بها المجتمعات المعاصرة التي يطلق عليها علماء الاجتماع "المجتمعات العابرة" أو "sociétés éphémères"، وكذا طبيعة النص البصري وحوامل الإعلام السمعي البصري التي تعتبر نصا منفلتا باستمرار، يجعل الرهان معلقا على جمع وتوثيق وتصنيف هذه المادة الثقافية الإبداعية التي ولدها وباء كورونا، بحيث تكون مادة للبحث العلمي والفني والثقافي ومشروعا علميا وثقافيا يمكن للمؤسسات الجامعية والأكاديمية ومراكز البحث العلمي والمؤسسات الثقافية والفنية المغربية الانخراط فيه بشكل قوي لدراسة هذه النصوص المتعددة الأشكال والمضامين وتحليل أنظمة التواصل الحاملة لها.



لائحة المصادر والمراجع:

- برغسون هنري، الضحك، ترجمة علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط: 2، بيروت، لبنان، 2007، ص: 10
- Arendt Hannah, La crise de la culture, Paris, Gallimard, Folio, Essais, 1972.
- Barthes Roland, Mythologies, Paris, Seuil, 1957
- Belhadj – ZianeKheira, « Le rap : parole mythique et culture urbaine », in. Culture et pratiques culturelles, S/D de A. Mouchtouris, Presses universitaires de Perpignan, 2009.
- Bourdieu Pierre, Les règles de l'art, Paris, Editions de Seuil, 1992, 1998.
- De Certeau Michel, La culture pluriel, Paris, Editions de Seuil, 1993.
- Mouchtouris Antigone, « Graffiti Esthétisme Populaire », in. Actualité Graffiti, S / D de Antigone Mouchtouris&Kheira Belhadj – Ziane, PUP, 2008.
- Paquot Thierry, Espace public, Paris, La Découverte, 2009.
- Quivy Raymond, & Van Luc Campenhoudt, Manuel de recherche en sciences sociales, Paris, Dunod, 1995.